سلسلة تفريغات بيت السلفيات

محاضرة

أأخْلاقِيَّاتُ الدَّاعِيَةَ

لفضيلة الشيخ

محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الله -

[شريط مفرغ]

بسم الله الرحمـــٰن الرحـــيم

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المادح لأخلاق نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أُوتي الكتاب ومثله معه، الذي كان خُلقه القرآن، صلى الله وسلم وبارك وأنعم عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا على نهجه وطريقته، تلاوةً وأخلاقا وسلوكا، في كل تفاعلاتهم وانفعالاتهم مع كل ما حولهم، فكانوا مثالا يُحتذى بهم ومن سار على نهجهم من سلف هـٰذه الأمة وبعد،

معالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور محمد بن علي العكلة، أصحاب الفضيلة وكلاء الجامعة وعمدائها ومنسوبيها، أحبابنا الطلاب، أيها الحضور المبارك، برعاية من معالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور محمد بن علي العُكلة، وفي هـٰذه الليلة المباركة من ليالي الأنشطة الثقافية والإثرائية والتوعوية التي تسعى الجامعة لبثّها وتحقيقها بين أبنائها ومنسوبيها خاصة، وخدمة لكافة شرائح المجتمع في هـٰذه المدينة المباركة، في هـٰذه البلاد العظيمة التي ما فتئت تبذل الغالي والنفيس للدعوة والدعاة، تَسعَد الجامعة بحضوركم لهـٰذه المحاضرة القيمة بعنوان (**أخلاقيات الداعية**) تأكيدا منها على أهمية ذلك لأبنائها ومنسوبيها وكل من تبْلغهم رسالة الجامعة، والتي يُلقيها فضيلة الشيخ الدكتور **محمد بن هادي المدخلي**، عضو هيئة التدريس بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، تخرّج فضيلته في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام 1408، وحصل على الماجستير من الجامعة الإسلامية عام 1414، وكان عنوان الرسالة (**ما سكت عنه الإمام أبو داود مما في إسناده ضعف**)، وحصل على تقدير ممتاز مع التوصية في الطبع، وحصل على الدكتوراه في عام 1427 هجرية مع مرتبة الشرف الأولى، وكان **عنوانها** (**زوائد الإمام أبي داود على الأصول الثمانية: جمعٌ ودراسة**).

كما تتلمذ على نخبة من العلماء البارزين، منهم والده الشيخ **هادي المدخلي**، والشيخ العلامة **عبد العزيز بن باز** -رَحِمَهُ اللهُ- خلال دراسته في جامعة إمام، والشيخ العلامة **أحمد بن يحي النجمي** -رَحِمَهُ اللهُ- وله منه إجازة بمرويّاته، والشيخ **زيد بن محمد المدخلي** -حَفِظَهُ اللهُ- وله منه إجازة، والشيخ **حماد بن محمد الأنصاري** -رَحِمَهُ اللهُ- وله منه إجازة أيضا، وعدد من المشايخ الآخرين.

ولفضيلته مجموعة من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة، كما أن له جهوداً معروفة في مجال التعليم والدعوة.

وخير ما يُبدأ به آيات بيّنات يتلوها الطالب بكلية الحديث الشريف عبد الله بن ثابت القُفيري، فليتفضل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرضِ وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (27) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (28) هٰذا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (29) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (30) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (31)﴾ [الجاثية 27: 31].

والآن نترك المجال لفضيلة الشيخ ليشرّف آذاننا بأخلاقيات الداعية التي جدير بكل مسلم أن يتحلى بها، فليتفضل مشكورا.

ÚÚÚÚ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾ [الأحزاب:70-71].

أما بعد. .

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد..

فإن هـٰذا الموضوع -كما سمعنا- من الأهمية بمكان، فهو مهمة الرسل -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِم أجمعين-؛ فالرسل كلهم مهمتهم الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، وقد جاء مبينا موضحا مبسوطا في كتاب الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- غاية البيان والتوضيح.

ورسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي هو خاتمهم وسيدهم -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- قال الله -جَلَّ وَعَلاَ- له مُخاطباً إياه فيما نقرأه في هـٰذا الكتاب العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (46)﴾ [الأحزاب 45:46]؛ فأخبرنا الله -جَلَّ وَعَزَّ- في هـٰذه الآية بمهمة هـٰذا الرسول العظيم -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ-، إذ هـٰذه المهمة العظيمة هي طريقته وطريقة الذين يسيرون على نهجه، كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- ﴿قُلْ هـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

وقال -جَلَّ وَعَلاَ- مخبرا عن الأنبياء جميعا -عليهم الصلاة والسلام- ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء : 165]؛ ففي الآية الأولى، آية الأحزاب، بيانٌ للأمور التي وصف الله بها هـٰذا الرسول الكريم الخاتم -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ-، وهـٰذه الأشياء المذكورة هي المقصودة وهي زبدة رسالته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهي أصول هـٰذا الدين الذي جاء به -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام-، حتى اعترف به له الكفار الذين لم يؤمنوا به وأيقنوا قبل أن يروا النصر أن الله ناصره، ولهـٰذا قال أبو طالب في لاميته الشهيرة:

لعمري لقد كلفتُ وجدا بأحمد ... وإخوته دأب المحب المواصل
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها ... وزنا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله في الناس أيُ مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيدٌ عالمٌ غير طائش ... يوالي إلاها ليس عنه بغافل

إلى أن قال:

لقد علموا أن ابننا لا مُكذب ... لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومة ... تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر دينا حقه ليس باطل

وهو على كفره.

ويقول في بحريته:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا على نأيهم والله بالناس أرود
فيخبرهم أن الصحيفة مُزقت وأن كل ما لم يرضه الله مفسد

وهو على كفره.

فالشاهد، هـٰذا النبي الكريم -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- عرفت قريش حاله وصدقه وأمانته، وعرفت لب دعوته؛ ولكن سبقت الهداية من الله لمن سبقت له الهداية، وسبقت الشقوة من الله لمن سبقت عليه الشقوة. فالمقصود من هـٰذه الآية بيان أن هـٰذا النبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- شاهدا على أمته بما عملوه، وهو نعم الشاهد العدل المقبول -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- كما قال الله -جَلَّ وَعَزَّ- مخاطبا إيانا في كتابه ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: 143]، وقال -جَلَّ وَعَلا- مخاطبا رسوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ الآيات. فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شاهدٌ على أمته، وأمته شهود على الأمم جميعا؛ فالله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- أرسله شاهدا علينا، ومبشرا لمن أطاعه وأجابه في دعوته، وآمن بهـٰذا الذين الذي بُعث به -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ-، ثم مع البشارة جمع النذارة فقال -سبحانه- ﴿ونذيرا﴾ وهـٰذه المهمة الثالثة لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في دعوته؛ فهو شاهد ومبشرٌ لمن أطاع، ومنذر لمن عصى، ولذلك يقول أبو طالب في قصيدته أيضا الشهيرة التي دافع بها عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :

وأن عليه في العباد محبة ولا خير ممن خصه الله بالقرب
وأن الذي ألصقتموا من كتابكم لكم كائنٌ نحسا كراغية السقب
أجيبوا أجيبوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب

فأيقن أبو طالب بأن هـٰذا النبي ظاهرٌ على من خالفه، وأنه سيأتي يوم يُحفر الثرى لمن خالف هـٰذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وقد كان الأمر كما قال يوم بدر، حينما وقف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليهم في يوم القليب وناداهم، فاستغرب ذلك الأصحاب -رضي الله تعالىٰ عنهم- ، فقال لهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**))، وقد أنذرهم هـٰذا اليوم، وهنا سطره أبو طالب قبل مدة طويلة قبل أن يأتي هـٰذا اليوم:

أجيبوا أجيبوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب

فالنبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- جامعٌ في دعوته بين **البِشارة والنذارة** وهـٰذا يستلزم ذكر **المبشر به** وذكر **المنذر به**؛ فالأعمال الموجبة للخير وجزائها هـٰذا المبشر به، والأعمال الموجبة للشر وجزائها هـٰذا هو المنذر عنه والمحذر منه.

والمبشرون هم المؤمنون، والمحذرون هم المعاندون؛ فالمؤمنون فائزون في الدنيا والآخرة حيث استجابوا لهـٰذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واستجابوا لدعوته وصدقوه ونصروه، والذين حاربوه وخالفوه حلّ عليهم من العذاب في الدنيا وسيحلّ بهم من الخزي في الآخرة ما لا يعلمه إلا الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-.

ثم قال ربنا -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:46]، أرسله الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- رسولا داعيا إليه -جَلَّ وَعَزَّ-، يدعو الخلق إلى ما ينفعهم ويصلحهم في الدين والدنيا؛ ففي الدنيا باستقامة أمور معاشهم، وفي الآخرة بصلاح أمور معادهم، فهو يهديهم إلى ربهم ويسوقهم إلى كرامته -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- حيث أمرهم بما خُلقوا له ألا وهو عبادة الله وحده كما قال -جَلَّ وَعَزَّ- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)﴾ [الذاريات 56: 58].

والخامس في هاتين الآيتين كونه -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- سراجا منيرا، وهـٰذا يقضي ويقتضي بيان أن الخلق قبل بعثته -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- كانوا في ضلالة لا نور معها، لا يهتدون معها إلى طريق ولا يعرفون فيها حق من باطل، ولا يعرفون كيف يهتدون إلى سبيل الرشاد؛ فهم في ظلمة لا نور فيها، وفي جهالة لا علم معها، وهم أيضا في عماية لا بصيرة معهم فيها -نسأل الله العافية والسلامة-، حتى جاء الله بهـٰذا النبي فأضاء الله به تلك الظلمات، ونوّر به تلك القلوب التي كتب الله لها الخير، وعلّم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الجهالة وهدى إلى صراط الله المستقيم، فكان كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أخرجَنا الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- به من هـٰذه الظلم المتراكبة إلى هـٰذا النور الذي نراه ونعيشه ونقرأ عمن عاشه قبلنا ونستطلع أخبار من سيعيشه بعدنا. ونسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- لنا جميعا الثبات عليه حتى نلقى ربنا -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-.

أما الآية الثانية ففيها البيان من الله -جَلَّ وَعَزَّ- بأنه أرسل الرسل جميعا كما أرسل هـٰذا الرسول مبشرين لمن أطاعه، ومنذرين لمن عصاه -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ-، مبشرين بالسعادة ومنذرين بالويل والعذاب والنكال في

الدنيا والآخرة لمن خالف أمره -جَلَّ وَعَزَّ- وعاند رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلم يبق للخلق بعد ذلك حجة على الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-؛ فهـٰذه المهمة العظيمة، مهمة الدعوة، المقصد منها هداية الناس، والمقصد منها الإعذار أمام الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- مهما بلغ الكفر، ومهما بلغ الظلال، ومهما بلغ الانحراف فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- يُوفق أوليائه ويسدد أوليائه، وأقل الأحوال أنهم يعذرون عنده، قالوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَو مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:164].

فهـٰذه مهمة أتباع الرسل -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِم أجمعين- سائرون في طريق الرسل جميعا لا يتخلفون عن هـٰذا الطريق أبدا، طريق البشارة للناس، ودعوتهم إلى الخير إن هم أقبلوا، والنذارة لهم وتحذيرهم من الشر إن هم أعرضوا وعاندوا وأدبروا؛ قال الله -جَلَّ وَعَزَّ- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:19]، فالله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- يخبر عن هؤلاء الذين يقولون بهـٰذه المقالة أنها لا تقبل منهم بعد بعثة هـٰذا الرسول -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ-، إذ قد أقام الله به الحجة وأوضح به المحجة، وظهرت الحقائق، فظهر الحق ونصع ودُحر الباطل وانقطع فللّه الحمد؛

فالدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- هي مهمة الرسل جميعا وخاتمهم وإمامهم رسولنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وكما أنها أيضا مهمة هؤلاء فهي -كما قلنا- مهمتنا نحن بعد هـٰذا النبي -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- إذ قال الله مخاطبا إياه في كتابه كما سمعنا في الآية السابقة، يا أيها النبي قل لمؤمنين؛ ﴿قُلْ هـٰذه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾؛ فسبيل الله وطريق الله ودين الله هو دين الله الذي جاء به هـٰذا النبي -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ-، والطريق إليه هي الدعوة، بيانه بالدعوة إليه وتوضيح أحكامه عقيدة وشريعة وأخلاقا حتى تُترك للناس صافية نقية كما جاء بها رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، صافية نقية، وتركنا عليها كما صح عنه -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- في قوله ((**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**))؛ فهـٰذه الطريق، طريق رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الدعوة إلى الله هي طريقة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهي طريقة أتباعه من أمته -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- حيث أمره الله -جَلَّ وَعَلا- أن يقول لهم قل للمؤمنين ﴿هـٰذه سَبِيلِي﴾؛ فلا سبيل للرسل غير سبيل الدعوة إلى الله؛ فمن قام بها وصار في طريقها فهو سائر في طريق الرسل جميعا وخصوصا في طريق رسولنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فهـٰذه الطريق هي الموصلة إلى جنات النعيم، والمؤدية إلى كرامة الله تعالىٰ، وهـٰذه الطريق لا يمكن أن يسلك فيها إلا بنور،

وبكشّاف يُستدل به عليها، **وهـٰذا النور هو العلم** كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾؛ **فالبصيرة هي العلم**، فيكون الداعية على بصيرة في دينه وعلى بصيرة في عقيدته، في شريعته، في أخلاقه، في جميع شؤونه على يقين وثبات لا يتشكك ولا يضطرب إذا نزلت الخطوب؛ بل هو ثابت لا يمترِ إذا ادلهمت المحن ولا يضطرب إذا جاءت الفتن. لـمَ؟ لأن الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- قد منّ عليه بمعرفة هـٰذا النور الذي امتن به على رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فمن كان على طريقة النبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- فلابد أن يكون داعية إلى الله على بصيرة.

ثم نزه الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- نفسه بقوله ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾، نزه نفسه سبحانه عما لا يليق به من الشرك ومن النقص في صفات كماله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ-؛ فالواجب على الداعية أن يهتم بهـٰذا الجانب، وأن يوليه جل اهتمامه، وسيأتي -إن شاء الله تعالىٰ- معنا بيان ذلك ومزيد إلقاء ضوء عليه، وإذا كانت الدعوة بهـٰذه المثابة، معشر الإخوة، فنحن مخاطبون بأن نقوم بها، لا أقل من أن تقوم بها طائفة كما سيأتي في بيان حكم الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-. **فالدعوة إلى الله واجبة على الجميع وهي فرض كفاية** إذا قام به من يسقط بهم هـٰذا الواجب بقيت في حق الجميع سنة متأكدة كما سيأتي -إن شاء الله تعالىٰ- بيانه.

وهـٰذه الكلمة أوهـٰذه المحاضرة سمعنا عنوانها وأنها (**أخلاق الداعية**)، والعنوان المرسوم (**أخلاقيات الداعية**) ولا فرق، أخلاق الداعية و أخلاقيات الداعية كلاهما سواء؛ فلنعرف هـٰذا حق المعرفة، وإذا ما عرفناه لننطلق بعد ذلك.

فأولا ما هو هـٰذا الأمر، أمر الدعوة؟

الدعوة تكلم فيها المتكلمون قديما وحديثا، وكتب فيها الكتاب قديما وحديثا من أهل العلم الراسخين ودون ذلك وطلبة العلم، وقد اختلفت تعاريفهم -رحمهم الله تعالىٰ ووفق من بقي حيا- فلم أجد تعريفا وافيا مختصرا؛ فمنهم من ينحو بالتعريف نحو الشرح، ومنهم من يقتصر فيختزل فيكون فيه شيء من القصور على حسب ما وقفت عليه في ما بين يدي من المصادر القديمة والحديثة، ولا أدعي الإحاطة؛ لكن على حسب ما وقفت عليه؛ فوجدت التعريفات في هـٰذا، تعريف الدعوة، متعددة وكلها ولله الحمد لا اختلاف بينها من ناحية التضاد وإنما هو اختلاف تنوع في العبارات، وإن كانت عبارات بعضهم أجزل من بعض أو أوفى من بعض، وبعضهم أطول من بعض كما قلت.

ومن أحسنِ هـٰذه التعاريف تعريف شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- في (الفتاوى) حيث عرف الدعوة إلى الله بأنها:

«الدعوة إلى الإيمان به -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- وبما جاءت به رسله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِم أجمعين- بتصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا»؛

قال -رحمه الله- : «ويتضمن الدعوة إلى الشهادتين والصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته -وعدّد أركان الإيمان الستة-، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه -ذكر الإحسان-»؛ فاشتملت هـٰذه الكلمات منه على مراتب الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان.

وعرفها آخرون من أهل العلم تعريفات كما قلت لكم متغايرة؛ لكن هـٰذا أحسنها فهي تتفق في المعنى وتختلف في الصياغة كما أسلفت. وخرجت من هـٰذه العبارات التي وقفت عليها بتعريف صغته أنا حسب علمي واجتهادي أرى أنه يجمع من هـٰذه العبارات المتفرقة وهو في الوقت نفسه مختصرٌ بإذن الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- فصغت منها تعريفا للدعوة ألا وهو:

«**تبليغ الإسلام صافيا كاملا إلى الناس عقيدة وشريعة وأخلاقا**» هـٰذه الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-.

إذا نظرت في تعريفات هؤلاء العلماء لا تجدها تخرج عن هـٰذا الذي ذكرته بهـٰذه العبارات. فالدعوة إلى الله هي تبليغ الإسلام صافيا كاملا إلى الناس عقيدة وشريعة وأخلاقا؛ فإذا قلت ذلك فقد انتظمتْ جميع تعاليم الدين فيما يتعلق بحياتنا الدنيا وبحياتنا الأخرى في هـٰذه الكلمات، وهو لا يخرج بإذن الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- كما سمعنا عن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- الآنف ذكره حيث عرفها بأركان الإسلام والإيمان والإحسان؛ فهـٰذا التعريف لا يخرج عنه بإذن الله.

أما الأمر الثاني فهو الكلام على شيء من فضل الدعوة، والدعوة لها فضل عظيم، وأهلها القائمون بها لهم فضل عند الله عظيم ومنزلة عند الله عالية. وقد ورد في فضل الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- وفضل الدعاة إليه -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- من النصوص ما لا يحصى كثرته في الكتاب العزيز، وفي السنة النبوية الشريفة الأحاديث الكثيرة؛ بل جمعت فيها الكتب المتنوعة على اختلاف مقاصد أصحابها -جزاهم الله خيرا-.

ومن هـٰذه الآيات الواردة في كتاب الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- قوله سبحانه ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت:33]. فهـٰذه الآية، كما قال الحافظ ابن كثير وغيره -رحمهم الله-، عامة في كل من دعا إلى خير، وهي أيضا عامة في كل داعية مهتدٍ في نفسه، ورسول الله

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أولى الناس بذلك إذ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ ينتظم الرسل -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِم أجمعين- وفي مقدمتهم رسولنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- :

«هذا الاستفهام في هذه الآية هو بمعنى النفي المتقرر؛ أي لا أحد أحسن قولا كلاما وطريقةً وحالة ممن دعا إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، وذلك بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- بجميع أنواعها والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما يضادها وتقبيح ذلك بكل طريق ما أمكن مما يؤدي إلى ترك هذه المخالفة» إلى آخر ما قال -رحمه الله-.

فالشاهد أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أولى الناس بهذه الآية، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين.

وهنا وقفة يسرة خفيفة -إن شاء الله- ألا وهي المتخرج من الكليات الشرعية التي يتخرج أبنائنا فيها ثم لا يجدون وظائف ولا يجدون إلا سلك الدعوة إلى الله، فربما يجد بعضهم شيئا في نفسه وذلك لما يفوته من المساواة بإخوته الذين تخرجوا ونالوا من التوظيف ما هو أعلى منه، فأقول له ولهم جميعا معشر الإخوة والأبناء، إن في هذه الآية لتسلية لمن تولى هذا المنصب، هذا المنصب الشريف هو منصب الرسول -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- ومنصب الرسل من قبله جميعا؛ فيجب عليك أن لا تزهد وأن لا تنظر إلى أمور الدنيا فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- قد يطرح لك البركة في القليل من الرزق الذي يأتيك مما يُقتطع لك قبيل تفرغك لأمر الدعوة، وقد لا يحصل مثله أو قريب منه لمن هو أعلى منك راتبا أو خراجا، وما ذلك إلا ببركة هذا الباب ألا وهو الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- ؛ فيجب على العبد أن يلحظ هذا الملحظ وأن لا تكون النظرة مادية بحتة؛ فعليه أن يعلم أنه قد تسنّم منصب شريفا وارتقى مقاما مُنيفا فلا يحزن ولا ييأس، وليعلم أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو سيد الدعاة -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- يمر عليه الهلال والهلال والهلال لا يوقَد في بيته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نار، الهلال والهلال والهلال، ثلاثة أهلة في شهرين لا يوقد في بيته نار. ولقد خرج -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- من الدنيا وما شبع ثلاث ليالي تباعا من خبز شعير، الشعير هذا الذي هو الآن عندنا مستهجن ويطرح للدواب لا يأكله كثيرٌ من الناس، لم يشبع منه -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- ثلاث ليالي متتابعات -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- ؛ فإذا استعرض الداعية إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- مثل ذلك، ورأى هذه النصوص وقرأها فإنه يجد في ذلك سَلوة له بإذن الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-.

ويقول الله -جَلَّ وَعَزَّ- مخاطبا رسوله كما تلونا في الآية السابقة ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ ووجه الدلالة فيها واضح، إذ فيها بيان فضل الدعوة إلى الله وأن أتباع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هم الدعاة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-؛ فكل من قام بالدعوة فهو تابع لرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهـٰذا فيه بيان تفضيلهم على غيرهم؛ فينبغي للمؤمن أن يهتم بهـٰذا الباب وأن يحرص على العناية به.

قال الحسن البصري رحمه الله حينما تُلي عليه -وجاء في بعض الطرق أنه هو الذي تلا- قول الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ جاء فيما خرجه عبد الرزاق في تفسيره، وابن جرير الطبري كذلك في تفسيره، عبد الرزاق عن معمر عن الحسن مباشرة أنه قال: تلا هـٰذه الآية فقال «هـٰذا حبيب الله، هـٰذا ولي الله، هـٰذا صفوة الله، هـٰذا خيرة الله، هـٰذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته وقال إنني من المسلمين، هـٰذا خليفة الله». هكذا جاء عن الحسن البصري -رحمه الله- حينما تلا هـٰذه الآية فعظمها على هـٰذا النحو قال -رحمه الله- «هـٰذا حبيب الله، هـٰذا ولي الله، هـٰذا صفوة الله، هـٰذا خيرة الله، هـٰذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين هـٰذا خليفة الله» والسند صحيح إلى الحسن -رحمه الله-.

فهـٰذا فضل عظيم للدعاة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-.

وقال -جَلَّ وَعَلا- ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، ووجه الدلالة إخباره -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- بأن هؤلاء الدعاة إلى الخير والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمحتسبين في سبيل ذلك والقائمين به على الوجه المطلوب هؤلاء هم أهل الفلاح. قال الضحاك -رحمه الله- : «هم خاصة الصحابة وخاصة الله»؛ علق الحافظ ابن كثير في تفسيره على هـٰذا الأثر عن الضحاك قال: «يعني المجاهدين والعلماء»؛ فلقد كان أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- و-رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين- مجاهدين في سبيل الله علماء معلمين للناس مجاهدين بالسيف والسنان واللسان والبيان حتى نقلوا إلينا هـٰذا الدين كما تركه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؛ فنقلوا إلينا كل جليل وكل صغير عنه -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام-، نقلوا حربه ونقلوا سلمه، ونقلوا عيشه مع أهله في بيته، ونقلوا جلوسه مع أصحابه، ونقلوا سلمه، نقلوا موادعته، نقلوا حجه، نقلوا عمرته، نقلوا صيامه، صلاته، زكاته، نومه، حركته، ابتسامته، التفاتته، حتى بُدوّ النواجذ نقلوه، فما تركوا شيئا إلا ونقلوه

إلينا؛ فهؤلاء الأصحاب -رضي الله تعالىٰ عنهم- جاهدوا في الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- حق الجهاد؛ فالقائمون بهٰذا العمل هم المفلحون المدركون لكل مطلوب، والناجون من كل مَخوف ومرهوب.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-، وأنا أركز على تفسير الشيخ السعدي لميزة فيه وهي أنه -رحمه الله- يأتي إلى كتب التفسير -تفسير السلف- فينظر فيها ويلخص من الأقوال راجحها ويصوغه لك بعبارة لطيفة، فهو كتابٌ ميسر مسهل مبسط لا يعوقك فيه «قال فلان»، و«قال فلان»، وإنما يأتي به ويصوغه فيبين لك معاني الآيات في ضوء ما قاله السلف الصالحون -رحمهم الله تعالىٰ-، فكتابه نافع جدا في معنى الآيات معناً إجماليا، فهو من أحسن كتب التفسير في هٰذا الباب، فيقول -رحمه الله- :

«يدخل في هٰذه الآية -وفي هٰذه الطائفة الذين وصفوا بالفلاح، في هٰذه الآية- يدخل أهل العلم والتعليم والمتصدون للخطابة ولوعظ الناس والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات وإيتاء الزكاة والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات؛ فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم أووجه الخصوص فإنه داخل في هٰذه الآية، وكل من قام بنصيحة عامة أو خاصة فإنه داخل في هٰذه الآية الكريمة»

وهٰذا حق؛ فإن الله -جَلَّ وَعَزَّ- قال ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ فالخير هو أساس الدين، والمعروف هو ما تعارف الناس على حسنه شرعا وعقلا، والمنكر ما تعارف الناس على قبحه شرعا وعقلا؛ فمن قام بهٰذه الأمور فهو المفلح بلا شك ولا ريب.

وأما الأحاديث الواردة فكثيرة جدا -كما قلت- ؛ ولكنني أجتزئ منها ثلاثة أو أربعة؛ فمن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالىٰ عنه- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: ((**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**)).

وما خرّجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود و الترمذي من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ((**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**))

ففي هذين الحديثين دلالة واضحة على فضل الدعوة إلى -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، وفضل الداعين إليه -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ-، وأن الداعية إلى الله -جَلَّ وَعَزَّ- يُعطى مثل أجور من هداهم الله على يديه كائن ما كان ولو كانوا مئات ألوف أو ملايين بلغة أرقام هٰذا العصر، وفي القديم لا يعرفون الملايين يعرفون ألف ألف؛ فلو كانوا ملايين فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- جوادٌ كريم لا يتعاظمه شيءٌ أعطاه؛ فهنيئا للدعاة إلى الله على سبيل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بهٰذا الخير العظيم.

وقد ذكر ابن عبد البر عند الحديث الأول في (التمهيد) كلاما جميلا جدا فقال فيه، حديث أبي هريرة ((**من دعا**)) قال: «هٰذا أعظم حديث للمعلمين وذلك أن الدعوة إلى الله تعليم للناس وتربية للناس وتبيين للناس لكل ما ينفعهم وتحذيرٌ لهم وتنبيهٌ لهم عن كل ما يضرهم؛ فهؤلاء من استجاب لهم فقد وُفق للخير فيحصلون على مثل أجره وهكذا يستمر الأجر إلى أن يرث الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- الأرض ومن عليها».

ومثله أيضا حديث أبي موسى ((**من دل على هدى فله مثل أجر فاعله**)) فهٰذا حال عظيمٌ يُعطاه من أراد الله به الخير والموفق من وفقه الله -جَلَّ وَعَزَّ-.

وجاء أيضا في حديث علي -رضي الله عنه- المشهور الذي نعرفه جميعا وهو متفق عليه حينما أعطاه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الراية يوم خيبر ثم قال له ((**انفذ على رسلك فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**))؛ وحمر النعم، وهي الإبل، إنما ضُرب بها هٰذا المثل لأنها عزيزة عند أربابها وغالية على نفوسهم، فإذا كان هٰذا الداعية إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- سائرا في هٰذا الدرب فليبشر بمثل هٰذا الأجر إن هو احتسب على الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ-.

ويفيدنا هٰذا الحديث الحث على القيام بأمر الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- فإن هٰذا الذكر لهٰذا الأجر حتى لو لم يحصل لك أتباعٌ كثر فواحدٌ خيرٌ لك من حمر النعم؛ لهٰذا قال شيخ شيوخنا -رحمه الله تعالىٰ- في منظومته:

لواحدٌ بك يهديه الإله يكن خيرٌ غدا لك من حمر من النعم

فحمر النعم هي أنفس الأموال عند أصحابها؛ فإنه هٰذا الواحد الذي تراه أنت واحداً قد يسلم على يديه أو يهتدي بعد موتك خلقٌ كثير فتأتيك حسنات عظيمة وأنت لن تقف على سببها في حياتك؛ **فالواجب على العبد أن لا يكترث بقلة الناس مادام ماشيا على الطريق الصحيح وعلى سبيل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.**

أما حكم الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- فقد سبق شيء من الكلام فيه؛ ولكن نذكره هنا. دلت الأدلة من الكتاب ومن السنة النبوية على أن الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- فرض على الكفاية كما سمعنا في هٰذه الآية ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ فهنا نص الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- على قيام طائفة من هٰذه الأمة بأمر الدعوة إليه -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-.

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ الله- :

«والمقصود من هٰذه الآية أن تكون فرقة من هٰذه الأمة متصدية لهٰذا الشأن وإن كان واجباً على كل فرد من هٰذه الأمة بحسبه».

وهٰذا لا شك فيه، يعني أن الأقاليم تختلف والناس فيها متفاوتون فيحتاجون إلى الدعاة؛ فكل إقليم وكل قطر من الأرض بحاجة إلى الدعاة، والناس جميعا مسلمون وكفار بحاجة إلى الدعاة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-؛ فلابد وأن يقوم في كل قطر من هٰذه الأقطار طائفة بالدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- على وجه تحصل به الكفاية؛ فحينئذ يسقط هٰذا الوجوب العام فينتقل إلى فرض الكفاية، قام به هؤلاء فأسقطوه عمن سواهم من المسلمين. أما إذا لم يحصل القيام بالدعوة في هٰذا القطر من الأقطار أو في هٰذا الإقليم من الأقاليم لم تحصل الكفاية على الوجه المطلوب الذي أراده الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- فإنهم يأثمون جميعا ويعود حينئذ الوجوب على العموم، عليهم جميعا، حتى تقوم به طائفة تُسقط به هٰذا الواجب العام عنهم فيسلموا حينئذ من الإثم.

ولا شك أن الأمة مأمورة للقيام بذلك؛ فأمرنا -سبحانه- أن تتصدر طائفة منا يحصل بها كفاية الناس في دعوتهم للناس إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. فقد صرح أهل العلم هنا بأن هٰذا الوجه حينئذ يكون وجه فرض الكفاية والآية فيه صريحة ولا شك في ذلك، ولهٰذا مثل بها شيخ شيوخنا -رَحِمَهُ الله تعالىٰ- في الفرض الكفائي في منظومته الشهيرة في أصول الفقه حينما قال:

والفرض تعريفا رديف ما يجب ... كالسنة التطوع الندب السحب

وقد يكون عينا أوكفائي ... في شيء أو واحد من أشياء

مرتبا يجيء أو مخير مؤقتا ... ومطلقا ما قدر

فالأول الفرض على الأعيان ... يُفعل من جمع ومن وحدان

مثاله التوحيد والصلاة ... والحج والصيام والزكاة

والثاني فرضه عليهم والأدا يكفي إذا من بعضهم قد وُجد
فو لتكن منكم فلولا نــفرَ ومــثله سد الثغور قد جرى

فنظم الآيتين:

فولتكن منكم فلولا نــفر ومثله سد الثغور قد جرى
وحيث كان الفرض شيئا عُيّن ففعله لا شك قد تعيّــن

إلى آخر المنظومة؛ فالشاهد أن هٰذا فرض على الكفاية إذا قام به هؤلاء سقط عن الباقين وإلا عاد الحكــم كما قلنا، الآية واضحة غاية الوضوح في ذلك؛ فينبغي للإنسان أن لا يتساهل في هٰذا الباب ويقول غيري قد كفاني، فما يدريه لعل جارا قريبا منه لم يبلغه الحكم وهو يظن أنه قد كُفي فلا يسلم، فعليــه أن يتجســس ويتحسس في هٰذا الخير. قالوا إن التجسس في الشر، والتحسس في الخير، كما قــال يعقــوب ﴿اذْهَبُــوا فَتَحَسَّسُواْ﴾؛ فأمَرهم بالتحسس. وفي الآية ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وفي القراءة الأخرى -وصاحبنا موجود وهو من القراء يُقرأ عاد لا أدري هو قراءة صحيحة- ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ نعم.

فالشاهد التجسس في الشر، والتحسس في الخير؛ فعلى العبد أن يتحسس من إخوانه وجيرانه ومجتمعه فلعل الحاجة تكون قائمة وهو لا يعلم فيقع في الإثم وهو لا يشعر؛ فينبغي لنا جميعا، يعني الأمر في هٰذا الباب خطير جدا والتواكل في هٰذا الجانب هو الذي أورد الأمة في هٰذا العصر الموارد فوقع الجهل مع انتشار القلم؛ القلم فاشي، الكتابة فاشية، لا تكاد تجد إلا نادرا الآن أو قليل جدا من لا يقرأ ولا يكتب؛ لكن هناك أمية من نوع آخر وهي أمية العلم بدين الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، وشرعه -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- فهٰذا باب يجب أن يعتنى به، ويجب أن يُتفطن له، فلابد من الجد والاجتهاد والنشاط في جميع الأقطار التي نزل فيها ونسكن فيها ونتفرق فيهــا، ونقطن فيها أو نمر ونعبر فيها فنقوم بما أوجبه الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- علينا حتى نسلم من الوقوع في هٰــذا الإثم ونحن لا نشعر.

وإذا كان الأمر كذلك وهٰذا فضل الدعاة، وهٰذا حكم الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- وفضلها عنــد الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- وبيان منزلة أهلها عند الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- فهؤلاء الدعاة الذين يقومون بهٰذا الأمر وتبليــغ هٰذا الدين وإحياء قلوب العباد، هؤلاء ولا بد أن يتحلوا بأخلاق ويتصفوا بها ويجعلوها شعارا لهم؛ فإنهم إذا حققوا ذلك وُفقوا بإذن الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- لنشر دين الله الحق في أرجاء المعمورة، وإذا تكاتفوا فكل أهــل قطر قاموا بما يجب في قطرهم كمّل بعضهم بعضا، ولرأيت عالم المسلمين في غاية من العلم والفقه في دين الله

-تَبَارَكَ وَتعالىٰ- التي ينتج عنهما القوة؛ فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- قد خاطب رسولاً من رسوله فقال ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:12] يعني بجد ولا تكسل ولا تتوانَ، فعلينا أن نقوم بذلك؛

فالداعية ينبغي أن يتخلق بالأخلاق الجميلة الحسنة التي يستطيع بها أن يُبلّغ هٰذا الدين وينفع عباد الله في جميع أقطار العالم. وقد تكلم كثيرٌ من المتكلمين في عصرنا على أخلاق الدعاة وأخلاقيات الداعية، فمنهم من وفق، ومنهم من قارب ومنهم من هو دون ذلك والكمال عزيز. وقد اخترت من هٰذه الأخلاق التي ينبغي للداعية أن يتخلق بها حتى يؤدي هٰذه الدعوة وتنجح دعوته بإذن الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- اخترت **عشرة أخلاق**، في نظري أنها أهم ما ينبغي للداعية أن يتحلى به؛ فلا شك أن للأخلاق التي يكون عليها الداعية الأثر العظيم في نفوس المدعوين، وقد جاء هٰذا الدين الحنيف لبيان ذلك كله؛ فالكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة عن صاحب الشريعة -صلوات الله وسلامه عليه- طافحة بذلك؛ بل مُدح رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو سيد الدعاة بحسن الخُلق فقال -جل وعلا- فيه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ كما في سورة القلم.

فتحلي الداعية بمحاسن الأخلاق ومكارم الأخلاق وجميل الصفات هٰذا مما يجعل نفوس المدعوين تميل إليه وتقبل عليه وتأنس إذا اقتربت منه وتستأنس بسماع كلامه وتحب السماع منه؛ وليس شرطا أن يكون السماع مقرونا بالإجابة في الحال، فقد تتأخر الإجابة؛ لكن إذا وفق العبد إلى القيام بمثل هٰذه الأخلاق فإن في ذلك الخير الكثير؛ بل أحيانا لا يسلم الكافر؛ لكن تكسب مودته ودفعه عن الدعوة، تكسب مودته ودفعه عن الدعوة. فهٰذا أبو طالب كما قلت لكم قبل قليل في ذكر بعض الأبيات من قصائده التي دافع بها عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على عكس أبي لهب -عليه من الله ما يستحق- فقد كان مدافعا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعن دعوته بلسانه ومقاله ونفسه وماله، محسنا دعوته، مادحا له، مستعطفا للناس عليه كما قال الحافظ ابن كثير، مادحا ومُشيدا أيضا بحال بأصحابه -رضي الله تعالىٰ عنهم-، مُقررا صدق دعوة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ وإن لم يؤمن هو، ولله في ذلك الحكمة البالغة -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ-.

فالشاهد هٰذا الكافر قد قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مثله ((**إن الله لا يؤيد هٰذا الدين بالرجل الكافر**))، فقد تكون هٰذه الأخلاق سببا في هداية الكافر، وقد تكون هٰذه سببا في هدايته ولو بعد حين، وقد تكون هٰذه الأخلاق سببا في دفع عداوته، وقد تكون أيضا سببا في كسب تأييده ومودته وإن لم يؤمن، وهٰذا كله خير لدين الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- ولدعوة الحق ولدعوة أهل الحق؛

فينبغي للعبد أن يقوم بهٰذه الأخلاق، وينبغي للعبد أن يتحلى بهٰذه الأخلاق، فربما تجد عدوه يمدحه، فإذا تكلم المُوالي لك ومدحك ربما لا يقبل عند العدو؛ لكن لو مدحك من هو على دين عدوك الناس لا يستطعون الطعن فيه، ولهٰذا يقول الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ اللهُ- تعالىٰ يقول « إن أبا طالب لم يسلم ولله في ذلك حكمة، ولعله لو أسلم لمالت عليه قريش؛ لكن كانت قريش لا تجرؤ عليه لكونه على دينها» لم يسلم كان على دينها فنفع الله بهٰذه العصبية القبلية رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما نعلم في قصيدته أو أبياته المشهورة:

والله لن يَصلوا إليكَ بجمعِهمْ ... حتى أُوَسَّدَ في التراب دَفينا
فاصدَعْ بأمرِك ما عليكَ غَضاضةٌ ... وأبشِرْ بذاكَ، وقرَّ منهُ عُيونا
ودَعَوْتَني، وزَعمتَ أنك ناصحٌ ... ولقد صدقْتَ، وكنتَ ثَمَّ أَمينا
وعَرضْتَ ديناً قد علمتُ بأنَّهُ ... من خيرِ أديانِ البريَّةِ دينا
لولا المَلامةُ أو حِذاري سُبَّةً ... لوجَدْتني سَمحاً بذاك مُبينا

ويقول أيضا في اللامية:

فو اللهِ لولا أن أَجيءَ بسُبَّةٍ ... تَجُرُّ على أشياخنا في المَحافلِ
لكنَّا اتَّبعْناهُ على كلِّ حالةٍ ... منَ الدَّهرِ جِدا غيرَ قَولِ التَّهازُلِ
لقد عَلموا أنَّ ابْنَنا لا مُكذَّبٌ ... لَدَيهم ولا يُعْنى بقَوْلِ الأباطلِ

إلى آخره.

فقد يدفع عنك، وهٰذا ما أقامه الله في هٰذا العصر لنبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فكم من المستشرقين الكافرين شهدوا بصدقه وكتبوا في بره وكتبوا في حسن خلقه، وكتبوا في براءته ونزاهته وحسن أخلاقه -صلوات الله وسلامه عليه-، فكانت كتاباتهم مُلجِمة للعقلاء من أقوامهم، وكانت حجة لنا نحن المسلمين على عقلاء هؤلاء الكافرين حينما يكتب الكاتب من هؤلاء.

الشاهد أن الإنسان إذا تحلى بهٰذه الأخلاق الجميلة إنه يجد الخير العظيم ويجني النفع العميل.

وأول هٰذه الأخلاق التي ينبغي للداعية، وهو طبيب يطب المجتمع يعالجه من أدوائه فيصف له الدواء بعدما يشخص الداء بما أتاه الله من علم، **أول ما ينبغي أن يتخلق به أن يكون عالما بما يدعو إليه**، أن يكون

الداعية إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- عالما بما يدعو إليه؛ فالخلق الأول من أخلاق الداعية الذي يجب أن يتحلى به **خُلق العلم**؛ فالجاهل لا يصلح أن يكون داعية؛ قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ هـٰذه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّه عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّه وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ**﴾. وقد تقدم معنا في الكلام أن البصيرة هي العلم، فلابد من العلم؛ فالعلم فريضة هنا لأن الداعية لابد أن يواجه علماء ضلال يوجهون الشبه إليه ويوجهون إلى دعوته الشبه ويجادلون بالباطل ليُدحضوا به الحق؛ فحينئذ لابد أن يكون مسلحا بسلاح العلم؛ قال الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- لنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، وقال -عليه الصلاة والسلام- لمعاذ -رضي الله عنه- ((**إنك تأتي قوما أهل كتاب**)) وفي لفظ ((**من أهل الكتاب**))، فإذا لم يكن الداعية مسلحا بالعلم الذي يواجه به الشبه ويواجه به التلبيسات من الخصوم ويجادل به المعاندين الطاعنين في دعوته وفي الدين الذي يدعو إليه فإنه سيهزم يا معشر الإخوان، سيهزم من أول لقاء وينقطع ويقف في أول طريق دعوته، ويُصاب بالإحباط.

وعلى هـٰذا، فكل دعوة لا تقوم على العلم الشرعي الصحيح الموروث عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهي على خلاف منهاج النبوة؛ فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هٰذا صريحُ ما جاء به ﴿**قُلْ هـٰذه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّه عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾ على علم ﴿**أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي**﴾ وكذلك من اتبعني، يدعو إلى الله على بصيرة؛ فالاهتمام بالعلم ضروري للداعية لأن الجاهل يهدم وهو يريد أن يبني، ويفسد وهو يظن أنه مصلح؛ فعلى الداعية وعلى طالب العلم أن ينظر فيما يدعو إليه، وينظر في الأدلة التي يستدل بها في مواجهة المدعوين.

والمدعون طبقات، منهم من هو جاهل جهلا بسيطا، ومنهم من هو جاهل جهلا مركبا، ومنهم من هو معاند معرض، ومنهم من هو معاند مجادل. فالمعاند المعرض لا يضر كالمعاند المجادل؛ فأنت بحاجة إلى أن تتسلح بالعلم له، وبحاجة لأن تتسلح بالعلم لمن دعوته فأجابك لتُعلمه، فإن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد كان يبعث أصحابه معلمين إلى الأقطار وإلى البلدان التي يأتي أهلها يطلبونه أن يبعث إليهم من معه من يعلمهم، فلابد من العلم، إذ العلم لا يصح العمل إلا به، ولهٰذا لاحظ الإمام البخاري -رَحِمَهُ الله تعالىٰ- إمام المحدثين في هٰذا الباب، لاحظ هٰذا الملحظ فقال (بابٌ العلم قبل قول والعمل)، وقول الله تعالىٰ ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِك**﴾ الآية [محمد:19].

فلابد للطالب لأمر الدعوة وللسالك في سبيل الدعوة لابد أن يتصف بالعلم. ولهٰذا نحن نرى المعاهد التي تُفتح للدعاة والدورات التي تهيَّأ للدعاة، والدبلومات -كما يقولون- الذي يعلن عنها للدعاة؛ فهٰذه إذا لم

تنتج الثمرة المرجوة منها وهي تخريج دعاة فقهاء بشرع الله ودينه، ومعرفته أصولا وفروعا فإنها حين إذن تكون وبالا على أصحابها. فلا تكفي فيها الشهادات، لابد من المعرفة الحقة التي يصدقها الواقع العملي.

وكل دعوة لم تقم على علم، معشر الإخوان، فإن مصيرها إلى الاضمحلال والزوال. وكل دعوة قامت على علم فإنها ولو لم تنتصر الآن فإنها لا تزال وستُجنى ثمرتها بإذن الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- ولو بعد حين، كما قال ابن بري -رَحِمَهُ الله تعالىٰ- في دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية حينما كتب كتابا إلى أصحابه يُوصيهم فيه أن يحافظوا على كتب شيخ الإسلام -رَحِمَهُ الله- ويحثهم على تتبعها والحفاظ عليها من الضياع والعبث من العابثين الذين يدخلون فيها، ثم قال «ولله ليُقيمن الله لهٰذه الكتب من يعمل بها ممن هم الآن في أصلاب آبائهم» ، وكان كما قال -رَحِمَهُ الله- أقام الله لهٰذه الدعوة، دعوة شيخ الإسلام -رَحِمَهُ الله- في القرن السابع ومنتصف القرن الثامن، أقام الله لها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر والثالث عشر. لا يزالون في أصلاب آبائهم يتقلبون خمسة قرون أو ستة قرون حتى وصلوا كما قال -رَحِمَهُ الله تعالىٰ- ؛ فانتشرت كتب شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ الله تعالىٰ-، ولا نزال ننهل من معينها ونعُلّ من معينها إلى يومنا هٰذا وإلى ما شاء الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-.

فالشاهد أن الدعوة التي تقوم على علم تبقى وإن حُوول وأدها في وقت من الأوقات، والدعوة التي لا تقوم على علم فإنها تضمحل وإن ارتفعت في وقت من الأوقات. فكم من الدعوات السياسية ذهبت أدراج الرياح، لا ذكر لها ولا لأصحابها، وكم وكم، واستعرض التاريخ؛ لكن انظر إلى هٰذه الدعوات التي قامت على العلم كيف نفع الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- بها؛ فهٰذه كما قال الله -جل وعلا- ﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾ [إبراهيم:24] والشجرة الطيبة ولو حصل تآكل في جدعها يبقى شيء من بذورها، ويوشك أنه إذا أصابها البلل أو نزل على أرضها الطيبة الماء تنبت فروعها من جديد وتورق -بإذن الله تعالىٰ- وتثمر. فلابد يا معشر الإخوان من الاهتمام بالعلم في هٰذا الجانب؛ فيجب على الداعية أن يتروى حتى يملأ ما بين جنبيه من هٰذا الباب، باب العلم، فإن العلم لا يشبع منه من ذاق حلاوته.

الخلق الثاني التي ينبغي للداعية أن يتخلق بها **الإخلاص**؛ فيجب على الداعية إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- أن يكون مخلصا لله -عز وجل-، وقصده من دعوته هداية الناس إلى طريق الله المستقيم وإلى صراطه الواضح المبين، فلا يريد رياء، ولا يريد سمعة، ولا يريد ثناء عليه، ولا يريد حمدا من الناس، ولا يريد جزاءً منهم ولا شكورا. كما أنه لا يريد رياسة، لماذا ؟ لأن سيد الدعاة -صلوات الله وسلامه عليه- طرح ذلك كله، فلما

جاءت قريش واجتمعوا إلى أبي طالب وقالوا له كما نعلم جميعا « إن ابن أخيك قد نال من آلهتنا، وسب آبائنا وسفّه أحلامنا» ثم طالبوه بأن يقضي بينهم وبينه فدعا به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال له: «يا ابن أخي، لا تحملني ما لا أطيق؛ فهؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا -وذكر له ما قالوه- فإن رأيت أن تكف عنهم فعلت». جاء عند البيهقي قال: فأجهش النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالبكاء ثم قال: ((**يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي**))ونحن نعرف ما في سند هٰذه القصة، ومعلوم كما قال العراقي «وليعلم الطالب أن السير تجمع ما قد صح وقد أنكر»؛ فالصيغ لا يتشدد فيها كما هو الحال في رواية الأحكام؛ فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((**لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هٰذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**)). وكان من مقالتهم « إن أردت ملك ملكناك، وإن أردت مالا أعطيناك من أموالنا حتى تكون أغنى رجل فينا»؛ فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هٰذه المقالة؛ فالنبي -عليه الصلاة والسلام- ما جاء للملك، ما جاء للرياسة، فلما رآه أبو طالب وقد أجهش قال أبياته التي سمعنا:

والله لن يَصلوا إليكَ بجمعِهِمْ حتى أُوَسَّدَ في الترابِ دَفينا
فاصدَعْ بأمرِك ما عليكَ غَضاضةٌ وأبشِرْ بذاكَ، وقرَّ منهُ عُيونا

إلى آخره. فالمقصد أن الإنسان يعتني بهٰذا العلم لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما جاء لطلب رياسات، وما جاء لطلب الدنيا، وإنما جاء لإبلاغ دين الله الحق وإنقاذ الخلق من هٰذه الهوة التي سيتردون فيها إن هم ماتوا على الكفر -نسأل الله العافية والسلامة-؛ فالإخلاص لله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- يجعل العبد موفقا في دعوته وناجحا -بإذن الله تعالىٰ- في دعوته.

قال الله -تعالىٰ- كما سمعنا في الآية السابقة: ﴿ **قُلْ هـٰذه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**﴾، وقال -جل وعز- ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا(46)**﴾.

قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ الله تعالىٰ- محمد بن عبد الوهاب في (كتاب التوحيد) على الآية الأولى ﴿ **قُلْ هـٰذه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**﴾:

« المسألة الثانية في المسائل فيه:

التنبيه على الإخلاص؛ فإن كثيرا من الناس وإن دعا إلى الله فإنما هو يدعو إلى نفسه» يدعو إلى أن يُرأس أو يكون مقدما متصدرا، أو يكون مملك، أو يريد شيئا من الدنيا. والقلوب أمرها عند الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- لا

نحكم على أحد بعينه؛ لكن هٰذا فيه تنبيه لنا جميعا، فيه الحث على الإخلاص، أدعـــو إلى الله لا إلى فلان ولا إلى فلان؛ فمن استقام على دين الله والتزم شرعه ودينه فهو أخي كائنا من كان، ولو كان أبعد الناس بلـــدا ونسبا، ومن ترك دين الله وخالف شرعه فليس بأخ لي ولو كان أقرب الناس لي نسبا وبلدا. فهٰذا هو الميزان الصحيح، لماذا؟ لأنك إنما دعوت إلى الله فحينئذ تجتمع مع هؤلاء في الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، والناس يجتمعـــون على دعاة الحق بسبب دعوة الخلق إلى الحق؛ فإذا رأوا منهم غير ذلك أعرضوا عنهم، ولو خبأوه في قلـــوبهم فإن الله مطلع على ما في القلوب ويوشك أن يكشف ما في أنفسهم ويظهره إلى الناس طال الزمان أو قصر.

فينبغي للعبد أن يراقب نفسه في هٰذا الباب، فهو جانب خطير، عليه أن ينظر إلى الإخلاص فيستوي عنده المادح والقادح لأن المهم هو إبلاغ دين الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، مخلصا لله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، يفرح باســـتقامة الناس ولو لم يأتوه، ولو م يزوروه، ولو لم يدخلوا عليه، يبلغه أن فلان على الحق والهدى فيفرح بذلك ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:58]، يفرح بذلك غاية الفرح، هٰـــذا هو الإخلاص. أما الذي يسعى لمآرب شخصية ومقاصد نفسية -نسأل الله العافية والسلامة- فهٰذا محـــروم عياذا بالله من ذلك.

الخلق الثالث: العمل بما يدعو الداعية إليه وهو ما يعبر عنه أهل التربية **بالقدوة**، يعبر عنه التربويون اليوم بالقدوة، وهي كلمة جاءت في كتاب الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّـهُ فَبِهُـدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:90]، ويقول -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:21]، والأسوة هي القدوة؛ بمعنى أن الداعية يكون قدوة حسنة، تُصدق أفعاله أقواله؛ فلا يكـــون للمبطلين عليـــه حجة، فإنه إن خالفت أفعاله أقواله فقد وقع في الهلاك -والعياذ بالله-. قال الله -جل وعز- : ﴿يَـــا أَيُّهَـــا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) ﴾ [الصف 2 :3]، وقال عن هود -عليه السلام- : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْـــلاَحَ مَـــا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:88].

فالداعية إذا صدّق فعله قوله أقبلت القلوب عليه وإذا قيل فيه ما قيل من الكذب والزور، يفد الوافد فيرى حاله خلاف ما قيل عنه، فيعرف أن هؤلاء قد كذبوا عليه، ويعلم أنه لم يتصنع له إذ يأتيه في أي وقت يفجأه يجده على خير حال، لماذا؟ لأنه لا يراقب إلا الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- في ذلك، وقد جاء في حديث أنس -رضي

الله تعالىٰ عنه- في ليلة الإسراء قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((**رأيت ليلة أسري بي رجالا تُقرض شفاههم بمقاريض من النار؛ فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال جبريل -عليه السلام- هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون**))، وأنا اخترت هٰذا اللفظ لأنه موافق للآية وهو غير اللفظ المشهور، خرجه ابن حبان في صحيحه، والحديث أصله في الصحيحين وإسناده حسن. قال: "هؤلاء هم الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون"؛

فهٰذه القضية معشر الإخوان من أهم القضايا التي يواجهها الدعاة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-؛ ترى المتحدث، ترى الخطيب، ترى الداعية، ترى المتكلم، ترى الواعظ يتحدث عن شيء وهو عنه بمعزل؛ يتحدث عن الاستقامة وهو عنها بمعزل، يعظ الناس وهو عن ذلك بمعزل يحتاج إلى واعظ، فكان كما قال:

يأيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لدي السقام وعلة ... كي ما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

يعني أنت كالشمعة حينئذ تضيئ لغيرها وتحرق نفسها؛ بل نسأل الله العافية والسلامة، أنت في أقبح الصور إذا نزلت في هٰذه الصورة، فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- يقول ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تتركه يلهث**﴾الآية [الأعراف 175: 176]؛ فضرب الله مثلا له بأقبح الحيوانات، وهو الكلب، بأقبح صورة فيه أيضا وهي صورة اللهف، فإن الكلب وإن كان حيوان قبيحا خسيسا مَهينا إلا أنه أخس ما يكون في صورة اللهف حينما يخرج لسانه؛ فشبه الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- من جمله من خلقه وعباده بآياته، فكانت له بمثابة الجلد الحسن يتجمل به؛ لكنه انسلخ منها، شبهه بهٰذا الحيوان الخسيس في أخس صوره وأقبح صوره ألا وهي صورة اللهف -نسأل الله العافية والسلامة-.

فبعض أصحاب التربية أيضا يسمون هٰذا النوع -أو هٰذا الخلق- يسمونه **الفرق بين النظرية والتطبيق**، هكذا يسمونه. وهٰذا الكلام موجود من قديم، فقد قيل: غاب الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخُلف بين القول والعمل.

فالشاهد أن الذي يقول قولا ويعمل بخلافه -نسأل الله العافية والسلامة- مَثله كما قال الله -جل وعلا- في بني إسرائيل ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ**

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:5] فسمّاهم الله ظالمين وأخبر أن الهداية عنهم بعيدة، لِمَ؟ لأنهم تركوا الحق بعد معرفته -نسأل الله العافية والسلامة-، ومن ذلك قول القائل:

ومن العجائب والعجائب جمة قرب الدواء وما إليه وصولُ

كالعيس في البيداء يقتلها الضما والماء فوق ظهورها محمول

العلم والنور عنده؛ لكنه لا يهتدي به ويهتدي غيره بما يقول -نسأل الله العافية والسلامة-؛ فإذا كان العبد بمعزل عما يدعو الناس إليه، تطبيقه شيء وقوله شيء آخر هٰذا مما يُورثه الازدراء عند الناس.

وقد لا يكفي ذلك معشر الإخوان، لو كان الأمر في الدنيا والله لكان هينا؛ ولكن والله لأن الخطب لجلل وإن الأمر لعظيم إذ ورائنا يوم ثقيل. جاء في حديث أبي زيد أسامة بن زيد -رضي الله تعالىٰ- عنه في الصحيح ((**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيمر عليه أصحابه الذين كانوا يعرفونه في الدنيا، فيقولون ما هٰذا يا فلان، ألم تكُ تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى؛ ولكني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه**)) فهٰذه هي الفضيحة العظيمة يا معشر الإخوان، في الدنيا قد يستر الله علينا؛ لكن الآخرة يفضح الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- العبد على رؤوس الملأ، وهٰذه والله هي الفضيحة التي لا ساتر لها.

وقديما كان سلفنا الصالح -رضي الله تعالىٰ عنهم- وعلى رأسهم سفيان وهو المشهور بهٰذه المقالة، كان يدعو بقوله «اللهم استرنا بسترك الجميل في الدنيا والآخرة» فإن العبد قد يتوارى في الدنيا؛ لكن في الآخرة أين الملاذ وأين منه المهرب؟

فيا معشر الإخوان القدوة الصالحة مهمة جدا، تطبيق القول وتصديق القول بالعمل مهم جدا، فعلى العبد أن يتقي الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- في نفسه، وليعلم أن وراءه يوما تبلى فيه السرائر وينشر فيها المخبوء -عياذا بالله من ذلك-، نسأل الله اللطف والمسامحة.

والرابع من هٰذه الأخلاق **البداءة بالأهم فالأهم في أمر الدعوة إلى الله** -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، وأول ما يجب أن يبدأ به الداعية إلى الله -جل وعز- في دعوته الخلق بأن يدعوهم إلى إصلاح العقيدة، إصلاح العقيدة بالأمر بالإخلاص في العبادة، عبادة الله وحده لا شريك له، النهي عن الشرك، هٰذا الذي وجه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إليه؛ فإنه لما بعث معاذا إلى اليمن قال ((**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب** -أو أهل

كتاب-؛ **فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**))، وفي الرواية الأخرى ((**أن يوحدوا الله**)).

وفي حديث علي لأهل خيبر ((ادعهم إلى إحدى ثلاث)) وذكر دعوتهم إلى الإيمان بالله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-؛

فالعبد يبدأ بهٰذا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- كان يمتثل أمر الله -جل وعز- فيما هو دون التوحيد. ففي الحج، لما جاء إلى الصفا، قال أبدأ بما بدأ الله به، وجاء عند النسائي في الرواية بلفظ الأمر ((**ابدءوا بما بدأ الله به** ﴿إن الصفا والمروة﴾)). ولما نزل عليه قول الله -جل وعز- ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)﴾ [النصر 1 : 3] قالت عائشة: كان بعدها كثيرا ما يقول في سجوده ((**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**)) يتأول القرآن؛

فالإنسان ينبغي له أن يهتم بهٰذا، فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- إنما بعث المرسلين بذلك فقال -جل وعز- : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:36]، قال -جل وعلا- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]، فهٰذه هي مهمة الرسل **البدء بدعوة الناس إلى التوحيد** ((**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**)).

وللأسف توجد في المكتبات وتوجد في الأسواق وبين أيدي أبنائنا بعض الكتب التي تضاد هٰذا تماما، وتنص على أن أول واجب ينبغي أن يقوم بالدعوة إليه هٰذا الداعية هو الحرص على إقامة دولة الإسلام؛ هٰذا غلط! **الحرص على إقامة عقيدة الإسلام هٰذا هو أول واجب**؛ فإن هٰذه الدولة قد تسقط ولو قامت، والناس بعد ذلك ماذا يكونون؟ لكن غرس العقيدة في نفوس الناس هٰذا هو الذي يبقى، ويبقى لك أثره الصالح، ويبقى لك نفعه عند الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- ما تناسلت الأجيال وما تعاقبت الأمم.

فالواجب على الجميع أن يعتنوا بهٰذا، وليعلموا أن أي دعوة تقوم في أول قيامها على غير الدعوة إلى توحيد الله فهي دعوة على خلاف منهاج النبوة؛ فإن النبي -عليه الصلاة والسلام- سمعنا حاله فيما تقدم معنا ولا نحتاج إلى تكراره؛ **فالدعوة إنما هي توحيد الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، ثم بعد ذلك أركان الإسلام، ثم أركان الإيمان ثم الإحسان، ثم بيان الشرائع التي تجب على الناس وجوبا عينيا، ثم بعد ذلك يبين لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم الأخرى**. فالواجب على الداعية إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- أن يعتني بهٰذا فإنه إذا لم يعتني فإن دعوته ستفشل، ولا بد، وإن اعتنى به فإن دعوته ستنجح ولا بد ولو طاحت الآن، سيكتب الله لها القيام.

ومن أحسن ما رأيت في هٰذا ثلاثة من الأئمة: الإمام أحمد وكيف تألب عليه أعـــداؤه وعلـــى رأســـهم الحكومات، وكتب الله له ولدعوته البقاء، فبقي إمام أهل السنة والجماعة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فإذا أطلق إمام أهل السنة مُطلقا فهو أحمد –رَحِمَهُ الله– وقد كان محبوسا مضروبا، مسجونا مقصورا في داره محجورا عليه –رضي الله عنه–؛ ولكن كتب الله –سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ– له ولدعوته البقاء لأنه قام على ما قـــام عليه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

وهكذا شيخ الإسلام ابن تيمية، فالدعوة الأولى لأحمد كانت الحكام خصومه، وفي عهد شيخ الإسلام ابن تيمية كانوا علماء الضلال خصومه، وكتب الله لدعوته البقاء.

وهكذا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ الله تعالىٰ– لأنها قامت على منهاج النبوة، وقام أول ما قام ما قام يدعو إلى دولة! قام يدعو الناس إلى إقامة التوحيد:

قد بعث الله لنا مـــــــجددا　　　من أرض نجد عالما مجتهدا

فقام والشرك الصريح قد سرى　　　بين الملإ وقد طغى واعتكر

فهٰذا حاله، ماذا حاله؟ الذي دعا إليه قال:

فـــقام بين أظهر القبيلة　　　يدعو إلى الله وبالتهليل

مستضعف وما له مناصر　　　إلا العليم الواحد المناصر

في قلة وذلة وفي يــــــده　　　مهفة تغنيه عن مهنده

كأنها ريح الصدى في الرعب　　　والحق يعلو بجنود الرب

فأظهره الله –سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ–، تمالأ على دعوته من تمالأ و لم يفلحوا، هيأ الله له الأنصار مـــن آل ســـعود –وفق الله من بقي وغفر الله لمن مضى–، فتآزر هؤلاء وهؤلاء، هؤلاء عندهم البيان وهؤلاء عندهم الســـيف والسنان؛ فمن جاء راغبا فالحمد لله وإلا يأتي بالنوع الثاني، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضـــي الله تعالىٰ عنه– في الحديث المخرّج في صحيح مسلم "الناس راغب وراهب، من لم يـــأت بـــالرغب يـــأتي بالرهب". وتمالأوا على هٰذه الدولة، وكان ما كان في الدولة الأولى، وأقامها الله ثانية، وكان مـــا كـــان في الدولة الثانية وأقامها الله ثالثة، وها نحن نتفيأ ضلالها إلى اليوم هٰذا. ونسأل الله –سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ– أن يبـــارك فيها وفي علمائها، وفي دعاتها، وحكامها، وأبنائها، وأن يحفظ علينا ديننا وأمننـــا، وأن لا يغير علينـــا إلا إلى خير؛ فهٰذه الدعوة ثلاث مرات يتكالب عليها الأعداء وتقوم.

لـــمَ؟ لأن البذرة صالحة والغرس صحيح فما تحتاج إلا أن يترل عليها الرش الخفيـــف، فتنشـــأ بـــإذن الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-. أما البذرة الفاسدة فتذهب ولو نزل عليها الماء سجالا، فأي دعوة لا تقوم على توحيد الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- والاعتناء به، وتخليصه من شوائب الشرك، ودعوة الناس إلى ذلك؛ فهي دعوة فاشلة علـــى غير منهاج النبوة، ولهٰذا ينبغي للإنسان أن يهتم بهٰذا الباب ويوليه العناية التامة، ولذلك محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ- لما خرج طريدا جاء إلى محمد بن سعود -رَحِمَهُ اللهُ- فبشره بأن ينصره، قال له أنا أبشـــرك، إيش؟ بأكثر من هـــٰذا، بالعز والنصر والتمكين؛ فكان كما قال، لماذا؟ لأنه واثق مـــن الإخلاص الـــذي في قلبه، واثق بوعد الله -سُبْحَانهُ وَتعالىٰ-، لَمَ ؟ لأن الله -جَلَّ وَعَزَّ- يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)﴾ [الحج 40 :41]؛ فهٰذا النصر مطمأن إليه هو، لأن البذرة يعرفها صحيحة -رَحِمَهُ اللهُ-؛ فالواجب على الدعاة إلى الله أن يعتنوا بمسألة التوحيد غاية الاعتناء.

والخلق الخامس من أخلاق الداعية: الصبر على ما يلاقيه العبد من الأذيـــة والابتلاء والمصـــائب في سبيل الدعوة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-، وليعلم أن هٰذا سبيل الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- كما قال ربنا -جَلَّ وَعَزَّ- ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَـــاهُمْ نَصْـــرُنَا﴾ [الأنعام:34]، وقال -جَلَّ وَعَزَّ- ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِـــهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنبياء:41]، وفي حديث خباب بن الأرت -رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهُ- في البخاري، قال: "شكونا إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو متوسد برده في ظل الكعبة، فقلنا له " ألا تستنصر، ألا تدعو الله لنا " فقال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- بكل ثبات ورباطة جأش ((**كان الرجل فيمن كان قبلكم يُحفر لـــه في الأرض فيُجعل فيه، فيُجاء به ثم يوضع المنشار في مفرق رأسه فيفلقه فلقتين -وفي لفظ فيشق اثنتين- وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلـــك عـــن دينه**))، ثم قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- ((**والله ليتمن الله هٰذا الأمر حتى يسير الراكب مـــن صـــنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**)). هكذا واجه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أذى قريش وتصلبهم وإمعانهم في أذية أصحابه -رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهُم- ، فصبرهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بضرب هٰذا المثل الذي قاله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان بعد ذلك كما قال.

فثبّت أصحابه -رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهُم- على هٰذا الأمر وأن النصر قادم؛ فالنصر مع الصبر، كما قال الله -جل وعلا- في كتابه العزيز في سورة الشرح ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ إلى قول ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فلا شك ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)﴾ لن يغلب عسرٌ يسرين بحال من الأحوال؛ لكن العجلة في نفوس الناس هي التي تجعلهم يستعجلون النصر؛ فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لهم هٰذه المقالة مقالة الواثق المطمئن إلى وعد ربه -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-.

قال الله -جَلَّ وَعَزَّ- : ﴿الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت 1 :3]؛ فالابتلاء معشر الإخوان يزيد الداعية ولا ينقصه، يزيده عند الله رفعة إن شاء الله، ويفيده الأجر والثواب عند الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- ولا يضره؛ بل لابد من الابتلاء كما سمعنا في هٰذه الآية، لمن ؟ لمحبي الله ورسوله. ثبت عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في صحيح بن حبان بإسناد حسن قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- ، اسمعوا هٰذا الحديث: ((**إن البلايا أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه**))؛ فالابتلاء سنة الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- الجارية وقد جرت في الأنبياء، وجرت في الصالحين، وجرت في الدعاة، جرت في المرسلين وهي طريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما سمعنا، ومن قرأ الكتب المزبورة اطلع على الأخبار المنثورة فيها لعموم الدعاة إلى الله الصادقين الناصحين المصلحين وما نزل بهم من الابتلاءات؛ ولكن انظر ماذا سُطر لهم من لسان الصدق والبر في الآخرين، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

فالواجب على العبد أن لا يتعجل، وعليه أن يصبر، وعليه أن يعلم أن الفرج مع الكرب وأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسرا، وليعلم أن وعد الله لا يتخلف ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، قوي لا يغلبه أحد، عزيز لا يمتنع عن عزته أحد؛ فلا يخرج عن قبضته -جَلَّ وَعَزَّ- أحد، فهو قوي لا يغلب -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ-؛ فثق يا عبد الله، ثق يا أيها الداعية إلى الله على سبيل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثق أن النصر معك، ولو لم تراه أنت في حياتك فإن الله سيكتبه لمن صار على دعوتك بعد مماتك.

السادس من هٰذه الأخلاق التحلي بالخلق الحسن، والأخلاق الحسنة لاشك أنها تكون سببا في إقبال الناس عليك وسماعهم لدعوتك. ومن هٰذه الأخلاق الحسنة: الرفق، والحلم؛ فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه؛ فينبغي للداعية أن يكون رفيقا بمن يدعو، وأن يكون حليما بمن يدعو، ولو أساؤوا إليه فإن الصبر سنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فإنه لما جاء من بني عبد ياليل وجاءه جبريل

-عليه السلام- وجاء معه بملك الجبال أو نزل معه ملك الجبال فقال ((**من هٰذا يا جبريل**)) قال: "هٰذا ملك الجبال وهو يأتمر بأمرك"، فقال للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "إن شئت أن أطبق عليه الأخشبين" وهما جبلان بمكة، جبلان عظيمان بمكة معروفان قال أبو طالب في داليته في إخبار الصحيفة قال:

ويظعن أهل المكتيـــن فيهربوا فرائصهم خوفا من الشر ترعد
ويترك حراث يقلـــب أمـــره أيتهم فيهم عند ذاك وينجـــد
وتصعد بين الأخشبين كتيبـــة لها حُدُجٌ سهم وقوس ومرهد
فمن ينش من حضار مكة عزه فعزتنا في بطـــن مكـــة أتلـــد
نشأنا بها ، والناس فيها قلائـــل فلم ننفكك نزداد خيرا ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد

فالأخشبان جبلان بمكة معروفان عند أهل مكة وعند من له علم بالسيرة والتاريخ موجودان إلى الآن.

فالشاهد كان الرد من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((**لا؛ بل أستأني بهم لعل الله أن يخـــرج مـــن أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا**)). فيا أيها الداعية لا يكون الانتقام لنفسك والغضب لنفسك مـــن أراد أن يسلم عرضه فلا يتصدى للدعوة، لا يتصدر لها لِمَ ؟ لأن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قيل فيه كاهن وساحر وكذاب ومعـــ... ومجنون وشاعر، وقيل فيه وقيل فيه إلى ما غير ذلك. فالوارث لابد أن يناله نصيب من مال مورثه، فالأذى لابد منه فاحتسب. الناس يتكلمون فيك، لا تبالي مادمت على الحق وتدعو الخلق إلى الحق، كن رفيقا بهم فإن بعض الناس قد تحمله الدعايات المغرضة عليك ويظـــن أن هٰـــذا الكلام صحيح، فإذا ما رأى منك الصبر وسعة الصدر والحلم والأناة والرأفة والشفقة والرحمة والحرص على هدايـــة الناس أقبل عليك رغم كيد الكائدين وصد الصادين، لماذا؟ لأنك أنت لا تنظر إلى نفســـك؛ فمـــن أراد أن يسلم عرضه ولا يرد أن يتكلم فيه فلا يتصدى إلى الدعوة، ليقعد في بيت أبيه وأمه. أما هٰذا الباب فلا بـــد لأن الناس ما كلهم على طبقة واحدة، فيهم المعاند والمخالف لك، والموالي والمعادي فلابـــد وأن ينالـــك في سبيل الدعوة، ما ينالك، أفتريد الأجر هكذا؟ لا يمكن أن يتأتى هـٰـذا؛ فالواجب عليـــك أن تصـــبر، وأن تتحلى بهٰذا الصبر وأن تعامل الناس بما أمرك الله به لا بما عاملوك هم به. قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ((**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**))، يخونك هو تمكنت منه ائتمنك في يـــوم مـــن

الأيام تعامله بما عاملك أو بما أمرك الله؟ تعامله بما أمرك الله، فإذا أديت له أمانته وكان قد سبق منه الخيانة في حقك فإنه يندم على فعلته ويعود ذاما لنفسه، لائما لها حامدا لك شاكرا.

فالواجب على العبد أن يكون على خلق جليل، وليحذر أيضا الغلظة فإن الله -سُبْحَانهُ وَتعالىٰ- قال ممتنا على رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران:159]، ما يكفي أن تسمح فقط، لا، ائتِ بما تتودد إليهم، أعفو عنهم واستغفر لهم وقربهم كأنهم من الأحبة، تشاورهم في أمرك، فإذا رأوا منك ذلك فإنهم ينقلبون على أنفسهم ذامين لها، ذامين مواقفهم منك، حامدين موقفك منهم؛ فهٰذا درس عمليٌ تقدمه أنت أيها الداعية إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-.

رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء في الصحيح من حديث سليمان بن سرد -وهو في سنن أبي داود أيضا- جاءه رجل فقال "يا رسول الله، مُر لي بعطاء فإنك لا تأمر لي من مالك ولا من مال أبيك" وجبذه جبذة حتى طارت حاشية البرد في صفحة عنقه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وجاء في رواية أبي داود أنه كان عليه بُرد نجرانيٌ غليظ الحاشية، والحاشية هي الصانفة، صَنَفة التوب في الأسفل تكون ممتنة حتى لا يتنسل وينقطع، فغاصت وانشقت، والبرود النجرانية معروفة غليظة، فطارت في عاتقه -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- ويقول له "لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك"؛ فيقول -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- ((**لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله**)) كررها ثلاثا، ثم قال له: ((**حتى تقيدني من جبدتك التي جبدتني**))، وبوب على ذلك النسائي قال: (باب القَوَد من الجبدة أو في الجبدة)، وهٰذا عند الفقهاء هل يُقتص فيما دون أو لا، هٰذا مبحثه مبحث آخر.

فالشاهد قال له: "ولله لا أقيدك" يمين؛ فقام الصحابة -رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهُم- فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((**عزمتم عليكم بما لي عليكم لا يبرح أحدٌ منكم مكانه**)) ثم قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((**احملوا له على بعير تمرا وعلى بعير شعيرا**))، فكان هٰذا الجزاء منه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بدل هٰذا الفعل ((**احملوا له على بعير شعير وعلى بعير تمر**))، فهٰذا هو الذي قال الله -سُبْحَانهُ وَتعالىٰ- فيه ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ**﴾؛ فهٰذه السيئة دفعها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالحسنى.

فالواجب على العبد -الداعية خاصة- أن يدفع السوء بالتي هي أحسن ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:34]، وعلى الداعية أيضا أن يتخلق بقوة الأمل، أن يكون له أمل قوي، وهٰذا الأمل ينكسر معه اليأس الذي يؤثر على دعوته وهداية الناس وانتفاعهم به؛ فلا ييأس من نصر الله -سُبْحَانهُ وَتعالىٰ-؛

فهٰذا نوح -عليه السلام- لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاما ثم أوحى الله إليه ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [هود:36]. وهٰذا نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما اشتد عليه الأذى من الكفار كان ما سمعنا في الأحاديث السابقة؛ فالداعية إذا لم يكن حاملا بين جنبيه الأمل القوي فإنه لا يمكن أن يستمر في دعوته.

وأيضا مما يجب أن يتخلق به الداعية أن يكون **ناحيا منح البشارة والتيسير على الناس حسب حدود الشريعة**، فإن النفوس تحب البشارة، والله -جل وعلا- قد قال في رسوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾؛ فعن أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهُ- قال: كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا بعث أحدا من أصحابه في أمره قال ((**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**))؛ فينبغي للداعية أن يملأ قلوب الناس بالأمل، فإن الناس تحيا على الأمل، يبشرهم بالخير فإن الناس تحب البشارة والقلوب تحب البشارة، وما دمت تستطيع التيسير عليهم في حدود المباح فلماذا تجنح إلى التعسير؟ خذ باليسر فإن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما خُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثم؛ فإن كان إثما، كما جاء في حديث عائشة، كان أبعد الناس عنه.

فالواجب على الداعية أن يكون التيسير في حدود الضوابط الشرعية لا التيسير المنفلت الذي نسمع الآن كثير من الناس يدعو إليه، هٰذا ما هو تيسير، هٰذا انفلات من الشريعة للأسف؛ يعني أقرأ في بعض الصحف أنه قبل أيام كان بعض من يُشار إليه يحضر حفلا موسيقيا ويقول: "أنا أعتقد أن قوة المانعين للموسيقى والمعازف هي الأدلة القوية والصحيحة؛ ولكن هٰذا لا يمنع من أن أجلس لأننا اجتمعنا على الحب في الله". إيش هٰذا الكلام؟! هٰذا الكلام باطل! من المحبة في الله أن تنصح من أحببت في الله فتبين له طريق الخير والهدى، وتحذره من طريق الشر والردى، هٰذا قرأته قبل أمس في الصحيفة، في صحيفة من الصحف موجودة تصدر بيننا.

فالشاهد، التيسير على الناس في حدود الضوابط الشرعية، لا كما ينادي به أهل التفلّت، لا، وإنما التيسير الذي يعرفه العلماء، علماء الشريعة، فقهاء الشرع المطهر، الذي قالت فيه عائشة: «ما خُير رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما»؛ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد حثنا على ذلك، وسمعنا هٰذا الحديث حديث أبي موسى قال ((**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**)) وأيضا

الخلق التاسع الذي ينبغي للداعية أن يتخلق به هو أن يقدر المفاسد والمصالح في حال دعوته، وهٰذا باب عظيم خطير جدا، إذ يتعامل معه فقهاء الناس على الحق الذين يحوطون به ويحمون الخلق؛ فإنك قد تختلف مع أخيك؛ لكن ليس كل خلاف يورث التنافر، وقد يكون خلافك مع أخيك مشكلته يسيرة فلا تجعلها كبيرة، وقد يكون خلافك مع أخيك بين فاضل ومفضول، وقد يكون خلافك مع أخيك في وجهة نظر تُأخذ وتُعطى، وقد يكون أنت ترى الحق معك وهو يرى الحق معه، والأدلة معكم تُأخذ وتعطى، والأخذ فيها هٰذا الأمر سهل؛ لكن الأمور الواضحات يجب أن تكون لها حدود نقف عندها، فإذا ما كان الإنسان يقدر الأمور بتقديرها الصحيح -وهٰذا ما نكون نحن فيه- درأ المفاسد وجلب المصالح، وهٰذا فيه الحديث الذي نعرفه، أشهر الحديث فيه حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْها- ((**لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة ولأعدتها على بناء إبراهيم ولأدخلت فيها من حجرِ إسماعيل -وفي لفظ من الحجر نعم- أذرعا ولو جعلت لها بابين، بابا شرقي وبابا غربي**))؛ لكنه ترك ذلك، لمَ؟ لأن المفسدة راجحة؛ فالنبي مستطيع -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يعدها على قواعد إبراهيم؛ لكن المفسدة الآن قريش تقول كل شيء غيره محمد حتى الكعبة فربما أحدث أمرا عظيما فحينئذ ينفلت عليه هؤلاء الذين هم حدثاء عهد بإسلام.

فالشاهد يجب على الداعية إلى الله أن يراعي المفاسد والمصالح، فالمرء قد يحتمل مفسدة؛ ولكن هٰذه المفسدة صبره عليها أعظم ممن لو تكلم بها فجاءت مفسدة أعظم منها. والكلام في هٰذا ذو شجون ولا نتوسع فيه.

فالشاهد، هٰذا الأمر لابد أن يراعيه الدعاة إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- مادام في حدود الضوابط الشرعية التي توجب التآخي بيننا ولا تفسد للود والأخوة في الله بابا؛ فإن الواجب علينا ندرأ المفاسد ما استطعنا وأن نجلب المصالح ما استطعنا، فإن هٰذا الباب باب عظيم وخطيرٌ، والموفَّق من وفقه الله إلى التعامل معه تعاملا شرعيا صحيحا.

والعاشر نختم به محاضرتنا كلها قبل بلوغ هٰذه الرسالة هو **أن يكون الداعية إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- فطينا ذكيا**؛ لأن الداعية إلى الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- إن لم يكن فطنا ذكيا فإنه يُستغفل ويُنال من دعوته وهو في غفلة؛ فقد يتغافل، نعم، أما أن يكون مغفلا، لا يصلح. أما يتغافل، نعم، يُمدح بهٰذا

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

يتغافل، "تجاهلت حتى قيل إني جاهل"؛ فالإنسان لابد وأن يكون ذكيا، يحمي دعوته ويعرف مجريات الأحداث في مجتمعه الذي يحيط به، ويعيش فيه؛ فلا يُلدغ من جحر واحد مرتين، فهو كرُبّان السفينة، إن كان ربانا ... سلك بها مسلك الأمام حتى يوصلها إلى شاطئ السلامة، وإن كان دون ذلك فربما ضرب بها في شِعب من الشعاب فانكسرت السفينة، فغرقت بمن فيها؛ فحتى لا تغرق هٰذه السفينة، لابد أن يكون القائد لها ذكيا عارفا، وعليه أن يستعين في دعوته بمن يجد فيهم الصدق والنصح والإخلاص لدعوة الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- الحقة، وأن يحيط نفسه بطائفة من إخوانه الذين يسددونه ويوفقونه في هٰذا الباب، فإن المرء ضعيف بنفسه قليل بنفسه قوي وكثيرٌ بإخوانه، ولقد كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يطلب المشورة من أصحابه وهو المؤيَّد بالوحي.

هٰذا، وأسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- أن يوفقني وإياكم جميعا لما يحبه ويرضاه، كما أسأله سبحانه أن يرزقنا جميعا الفقه في الدين والبصيرة فيه، وأن يمن علينا جميعا بالعلم النافع والعمل الصالح إنه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

ÚÚÚÚ

شكرا فضيلة الدكتور محمد بن هادي المدخلي على هٰذه المحاضرة القيمة التي نحتاجها جميعا، كلنا محتاج لأن يتخلق بأخلاقيات الداعية كما كان نبينا -صلى الله عليه وسلم- وكما كان الأنبياء من قبل وكما كان صحابته وسلف الأمة الصالح، ونشكر فضيلة الدكتور محمد على هٰذه المحاضرة التي عرج فيها على التعريف بالدعوة وفضل الدعوة إلى الله، وحكم الدعوة وواجبات الداعية وأخلاق الداعية إلى الله ليتحلى بهٰذه الأخلاق.

الأسئلة

والآن نعرج للتساؤلات التي وردت لفضيلة الشيخ.

•وهٰذا سؤال من الطالب محمد هاشم بشير أحمد من كلية الحديث الشريف يقول:

ما هو موقف الداعية أمام المستجدات ووسائل الإعلام المعاصرة في الدعوة إلى الله، وكيف يمكن للدعاة إلى الله مقاومة التحديات المعصرة التي تحيط بهم؟

الشيخ: الحمد لله..

هٰذه الفقرات التي سمعنا مهمة جدا، وهي تطرح -كما يقال إن صح التعبير- نفسها في هٰذا العصر؛ فلابد للدعاة إلى الله -سُبْحَانهُ وَتعالىٰ- من أن ينظروا فيها ويعاد فيها الأمر إلى أهل الفقه في الدين، فإن الله -سُبْحَانهُ وَتعالىٰ- قد أمرنا بذلك، وإذا وُفّق أهل الفقه فإن الخير يعم الناس؛ فهٰذه المسائل المستجد منها بحاجة إلى البحث والنظر وإصدار الفتاوى الملائمة المناسبة لها؛ **فما يتعلق بوسائل الدعوة هي على قسمين:** منها ما هو **مباح**، ومنها ما هو **غير مباح**؛ فما كان مباحا فالحمد لله استخدامه جائز، وقد كُتبت في ذلك الكتب وصدرت فيه الفتاوى على مستوى أفراد أهل العلم وعلى مستوى المجامع الفقهية. وما لا فلا؛

فمثلا: هل يقال أنه يدعى إلى الله بالتماثيل والأناشيد ونحو ذلك؟ هٰذا لا. ما كانت دعوة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بهٰذا؛ ولكن يدعى إلى الله -سُبْحَانهُ وَتعالىٰ- بالخطابة، بالموعظة، بالقصيدة تُلقى، نعم ونحو ذلك تُلقى المحاضرات والدروس، المواعظ ونحو ذلك، يتخول الناس المجامع نحو ذلك، الكتب، الأشرطة، اللقاءات، المحاضرات، الندوات، هٰذا مطلوب ومشروع لا بأس بذلك، لِمَ؟ لأنه وردت به النصوص عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وعن أصحابه.

فالشاهد -إنما أذكر هٰذا مثالا فالحصر يصعب- فالواجب علينا جميعا أن نقف عند الحدود الشرعية، فما أباحه الله لنا الحمد لله، وما لم يبحه لنا إن الله لم يمنعنا من شيء إلا والضرر فيه غالبٌ على النفع، نعم.

.

- **فضيلة الشيخ -حفظك الله-، نجد بعضنا من طلبة العلم والدعاة لهم غلظة وفظاظة في الدعوة بزعم أن هٰذا هو المنهج الصحيح، وعدم احترام العلماء في بلادهم؛ فنطلب منكم نصيحة -وجزاكم الله خيرا- تحثهم فيها إلى دعوة أهلهم في بلدانهم وإلى الدين الحق، حيث أن بعض الطلاب يرغب في العمل بعد التخرج بأعمال أخرى ليس لها علاقة بالدعوة .**

الشيخ: أظن، معشر الإخوة، أن الكلمة كلها كانت في هـٰذا، أليس كذلك؟ فجوابه الذي تقدم، فقيل قديما: ما أحسن السجع؟ قيل: ما خف على السمع؛ فقال السائل مثل ماذا؟ فقال مثل هٰذا. فأنا أظن أن هٰذا كاف وجوابه الذي تقدم؛ فالواجب على الإنسان أن يبتعد عن الغلظة ما أمكن، فإنما غلظة إنما هي على المعاندين كما قال -جل وعلا-: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:46]؛ فالجاهل يُعلّم والغافل يُنبّه ويُبين له، فإن أصر وعاند فإن كف شره فذاك، وإن تعدى وظلم فهٰذا لنا معه بعد ذلك ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قال الله -جَلَّ وَعَزَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم:9]؛ فهؤلاء الذين يجالدون ويجادلون نعم لنا منهم موقف الغلظة التي تردعهم، أما الجاهل والغافل والناسي ومن ليس بمعاند فإن مثل هٰذا يتلطف به، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء في حديث أبي هريرة في الصحيح في البخاري وغيره ((**اللهم اهد دوسا وأتِ بهم**)) وهم كفار؛ فالدعاء للكافر بُوّب عليه ((**اللهم اهدِ دوسا وأتِ بهم**))، فدعا لهم وهم كفار؛

فالشاهد، الغلظة إنما تكون للظالم والمجادل بالظلم، أما من عداه فالواجب الرفق واللين، فإن الرفق واللين ما كان في شيء إلا زانه ولا نزع منه إلا شانه؛ فلا يُغفل هٰذا على حساب هٰذا ولا يترك هٰذا على حساب هـٰذا. وأما الوالد والوالدة أو الوالدين الواجب الرأفة بهما ولو كانا كافرين؛ فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- قد وصى بهما في حال كفرهما، وأمرك أن لا تقطع برهما، وقال ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ﴾ والآية الأخرى ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:15]

وأما "أهل العلم" فهٰذه كلمة فضفاضة، نحن عندنا هٰذه الكلمة "أهل العلم" إذا أطلقت فلا يراد بها إلا أهل العلم المستحقين لها، أما المدعى لهم أنهم من أهل العلم وقد يكونون أرباب الطرق الصوفية وقادة الطرائق الصوفية فهؤلاء يُترأف بهم على ظن جهلهم إذا تبين عنادهم وظلمهم؛ فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتعالىٰ- قد رسم لنا في كتابه التعامل معهم، نعم.

- **شكرا فضيلة الدكتور، وهٰذا الطالب عبد الودود الأكرمي من كلية الشريعة يسأل ويقول: هل المجادلة من صفات الداعية كما قال تعالىٰ ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، وهل يكون الداعية مجادل؟ شكرا وجزاكم الله خيرا.**

الشيخ: المجادلة، للإيضاح الحق، هنا ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ يعني خاطبهم وأقم الحجة عليهم، وأزل ما علق بأذهانهم من الشبه، واكشف ما ألقوه على قلوبهم من الشبه، نعم ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾؛ فهؤلاء يجادَلون بالتي هي أحسن ﴿**إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾.

فالشاهد، المجادلة لهؤلاء. أما الجدل، فهٰذا مذموم وذلك لأنه في مقابل الحق الذي استبان أنه حق، وهو الذي قال الله فيه: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا**﴾، ماهو؟ ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58)**﴾ [الزخرف 57: 58] فهٰذا الذي قيل فيه: ما أوتي قوم الجدل إلا ضلوا بعد هدى -نسأل الله العافية والسلامة-، فالجدل هٰذا منهي عنه، فنسأل الله العافية والسلامة.

إذا تبين الحق تجادل فيه بالباطل، هٰذا المنهي عنه، أما المجادلة لإظهار الحق فإنه مأمور بها ومندوب إليها وهي طريقة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، نعم.

- **شكرا فضيلة الدكتور، وهٰذا أبا حماد بكلية الشريعة يسأل ويقول:**

كيف يمكن القيام بالدعوة في مجتمع غالبيته كفار يمنعون المسلمين من الدعوة،وربما تسبب الدعوة قتلهم واختطافهم، فإن لم يقوموا بالدعوة هل يأثمون؟

الشيخ: يقومون بالدعوة على قدر ما يستطيعون في إخوانهم الذين أسلموا، يعلمونهم دين الله الحق ويدعونهم إليه ويفقهونهم فيه ويرشدونهم إليه، ويبينون لهم مخاطر الكفر والكافرين، وتلبيسات الملبسين عليهم، وهٰذا خير من الله -تَبَارَكَ وَتعالىٰ-؛ فإن الدعوة لأهل الإسلام ولأهل الكفر أيضا، نعم. فإذا كان هؤلاء إذا تكلموا خشوا من هٰذه الحكومات الكافرة أن تبطش بهم فإنهم يبقون على دعوتهم فيما بينهم، فيما بين المسلمين، ولا ييأسوا، إذا رأوا فرصة انتهزوها، ولا يقطعوا الأمل، إذا رأوا سببا يستطيعون النفوذ منه إلى عباد الله استغلوه وانتفعوا به، نعم.

- **شكرا فضيلة الدكتور، وهٰذا سائل يسأل لم يذكر اسمه، فيقول:**

فضيلة الشيخ -حفظك الله-، نرجو إفادتنا بحال الأبيات التي ذكرتموها عن أبي طالب، وهل صح إسنادها إليه، ومن أخرجها من أهل الكتب المعتمدة، وجزاكم الله خيرا؟

الشيخ: هٰذه الأبيات من عدة قصائد: (الدالية)، وهي مشهورة بـ(البحرية): "ألا هل أتى بحرينا"، يعني جعفر بن أبي طالب ومن معه كانوا في الحبشة:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا ... على نأيهم والله بالناس أرود
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت ... وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجمع ... ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر ... فطائرها في رأسها يتردد

إلى آخره. هٰذه (الدالية) والمعروفة بـ(البحرية)، وهي في سيرة ابن هشام.

والثانية "والله لن يصلوا إليك" هٰذه أبيات أربعة، وهٰذه في سيرة ابن هشام، كل الذي ذكرناه في سيرة ابن هشام، وهو ملخص لسيرة ابن إسحاق.

وكذلك الثالثة وهي (البائية):

أَلا أَبلغا عنّي على ذات بَيْننا ... لُؤَيا وخُصًّا من لؤيٍّ بني كعبِ
ألم تَعْلموا أنّا وَجَدْنا محمداً نبياً ... كموسى خُطَّ في أوّلِ الكُتُبِ
وأنّ عليه في العباد مَحَبَّة ولا ... خيرَ مِمَّنْ خَصَّهُ الله بالحُبِّ
وأنَّ الذي أّلْصَقتموا من كتابكُم ... لكُمْ كائنٌ نَحْسا كراغيةِ السَّقْبِ
أَفيقوا أفيقوا قبلَ أنْ يُحفرَ الثَّرى ... ويُصبحَ مَن لم يَجْنِ ذنبا كذي الذَّنبِ

إلى آخره. هٰذه أيضا (البائية).

والرابعة:

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ... ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حبحاب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق ... إذا ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا : إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تجرجما ... كما جرجمت من رأس ذي علق صخر

أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا هما نبـــذانا مثل ما ينبذ الجمـــر
هما أغمزا للقوم في أخويهما فقد أصبحا منهم أكفهما صفـــر

إلى آخره . هٰذه (الرائية).

وأما (اللامية) فهٰذه الطويلة، التي هي أربعة وتسعين بيتا، فهٰذه طويلة:

ولما رأيت القوم لا ود فيهمو وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة يعضون غيضا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي سمراء سمحة بأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياما معه مستقبلين رتاجه لدى حيث يقضي خلفه كل نافل
وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم بمـــ... السيوف من ... ونائل
موسمة الأعضاد أو قصراتها مخيسة بين السديس ومازل

إلى آخره. هٰذه اللامية.

وأما التي تليها فهي:

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن مـــحمدا هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وســـمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظـــــلامة إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة ونضرب عن أجحارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما بأكنافنا تندى وتنمى أروـــــمها

فهذا محصل ما لأبي طالب في السيرة النبوية لابن إسحاق، وملخصها سيرة ابن هشام، والقصيدة أطولها القصيدة اللامية، ثم تليها البحرية، ثم تليها البائية، ثم تليها الرائية، ثم تليها هذه التي ذكرها مؤخرا، ثم تليها الأربعة الأبيات "والله لن يصلوا إليك بجمعهم"؛ هذا محصل ما لأبي طالب في الدفاع عن دعوة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سيرة ابن إسحاق؛ وينبغي لطالب العلم أن يعتني بسيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- درسا وحفظا وفهما وفقها، إنه يحتاج إلى الاستدلال بهذا؛

وأما مسألة الإسناد، فالإسناد في هذا الباب يعرفه أهل الحديث -ومعي والله الحمد إخوانا ومشايخنا وزملائنا في كلية الحديث- **باب السير يُتسمح فيه**، وقد قيل عن هذه القصيدة الطويلة التي نعى فيها أبو طالب، قيل فيها أن فيها أبيات -تكلم فيها وغمز فيها ابن هشام- قال إن فيها أبيات يتكلم فيها بعض أهل العلم بالشعر وينكرونها. رد عليه الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) في المجلد الرابع من الطبعة الأخيرة، والمجلد الثاني من الطبعة الأولى، فقال إنها قصيدة بليغة، فصيحة ،عظيمة جدا، لا يمكن أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أعظم من المؤلفات السبع المشهورات.

فالشاهد من هذه الكتب الاعتناء بها طيب، والداعية إلى الله بحاجة إلى أن يقف على سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ،والعلم إنما هو الحفظ، ليس بعلم ما حوا المقروء، **العلم إنما هو ما حواه الصدر، أما الكتب فهذه للمراجعة**؛ إذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع، نعم.

ÚÚÚÚ

شكرا فضيلة الدكتور على هذه المحاضرة القيمة، والشكر موصول لهذه الجامعة المباركة على هذه البرامج الثقافية والإثرائية والتوعوية، والشكر موصول لكم أيها الحضور المبارك، وحتى نلقاكم في برنامج آخر من برامج الجامعة الثقافية في هذا العام، نستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

♠ ♠ ♠ ♠ ♠